الحجة العقلية في الشاهد القرآني وأثرها في تقرير العقائد الإسلامية

إعداد
أ.د/ عبداللطيف بن عبدالقادر الحفظي
رئيس قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
كلية الشريعة وأصول الدين – جامعة الملك خالد
المملكة العربية السعودية – أبها
البريد الإلكتروني : aaaLhafzi@hotmail.com
الجوال : 00966553056050

سيرة ذاتية مختصرة

- أ.د. عبداللطيف بن عبدالقادر محمد الحفظي.
- رئيس قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية الشريعة وأصول الدين ، جامعة الملك خالد. أبها، المملكة العربية السعودية.
- جوال رقم : 00966553056050
- البريد الإلكتروني : aalhafzi@hotmail.com / aaalhafzi@kku.edu.sa
- عضو الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب – الجامعة الإسلامية– المدينة المنورة.
- له العديد من الدراسات والأبحاث العلمية ومنها :
    - تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة – أسبابه ومظاهره – .
    - سد ذرائع الابتداع في مسائل الاعتقاد.
    - تعدد النصوص ودوره في الاختلاف في حقيقة الإيمان .
    - الاعتدال في عقيدة البراء وأثره في الحوار مع الآخر.
    - الجرائم العقدية ونظام الإسلام في منعها.
    - استثمار مسائل الاعتقاد في الأمن الفكري.
    - العدل السياسي من المنظور العقدي ودوره في تنمية الثروة البشرية.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم .. أما بعد ..

فإن من يسبر آيات القرآن الكريم وشواهده فسوف يجد في منطوقها أو مفهومها ولازم معانيها من الحجج والبراهين العقلية ما يقوم به تقرير العقائد الإسلامية كلها دقيقها وجليلها. وسوف يجد في تلك الشواهد القرآنية المجادلة والردود على من يخالف تلك العقائد من الملحدين والمشركين وسائر الكفار والمشككين.

وفي هذا العصر تعلقت الحضارة البشرية بالعقل المجرد، وتشبثت به حتى جعلته الحاكم الوحيد على كل شيء، وأضحت لا ترى في الكون ما يساويه. وهو الأمر الذي أوصل هذه الحضارةِ إلى ما نراه عياناً من الضلال والتخبط في باب الفكر والسلوك.

وهذا الأمر يجعل من الواجب المنوط بأهل الفكر والعلم من المسلمين أن يبينوا للبشرية التائهة الشواهد القرآنية المعصومة التي تجلت فيها البراهين والحجج العقلية المبهرة والكفيلة بإعادة العقلية البشرية إلى مسارها الصحيح الذي يوصلها قطعاً إلى السعادة العاجلة والآجلة. وهذا ما يهدف إليه البحث من خلال عرضه للمسائل التالية:

أولاً : مكانة العقل في الشاهد القرآني.

ثانياً: شهادة العلماء على اشتمال الشواهد القرآنية على الحجج العقلية.

ثالثاً: خصائص الدلالة العقلية في الشاهد القرآني.

رابعاً: تقرير بعض العقائد الإسلامية من خلال الحجج العقلية في الشاهد القرآني.

التعريف بالحجة العقلية:

الحجة في اللغة هي : >الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وجمعها حجج، ... يقال: حاججته أحاجه حجاجاً ومحاجة حتى حججته، أي: غلبته بالحجج التي أدليت بها<(1).

والحجة هي البرهان(2):

وعلى هذا تكون الحجة ما يقصد بها الحق المطلوب في الشاهد القرآني والواجب على العالم هنا هو الكشف عن هذه الحجة في الشاهد القرآني سواء كانت ظاهرة وهي التي يصل إليها كل من قرأ الشاهد القرآني. أو كان خفية على العامة دون العلماء .

وأما العقلية: فنسبة إلى العقل. والعقل في اللغة: مصدر عقل يعقل، وأصل معنى مادته: الحبس والمنع(3).

وأما في الاصطلاح فالعقل له عدة معاني(4).

-فيستعمل العقل بمعنى الغريزة المدركة التي ميَّز الله بها الإنسان على سائر الحيوان.

-ويستعمل العقل بمعنى المعارف الفطرية، والعلوم الضرورية التي يشترك فيها جميع العقلاء.

-ويستعمل العقل بمعنى إدارك المعارف النظرية، وما يستفاد من التجارب الحسية.

والشاهد القرآني اشتمل على الحجة العقلية بمعناها الفطري الغريزي ومعناها المكتسب. فقد صرح القرآن الكريم بتضمن نصوص الوحي براهين وحججاً عقلية كما قال تعالى: ژ □ ى ىي ي □ □ □ □ □ □ ژ(5) ، وقال تعـــالى : ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ ژ(6) فأخبر سبحانه

---

(1) تهذيب اللغة للأزهري 290/3.

(2) انظر: الصحاح للجوهري 304/1.

(3) انظر: تهذيب اللغة 238/1.

(4) انظر: الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد – سعود العريفي ، ص 27-31.

(5) الأنبياء: 24.

(6) الفرقان: 33.

ان الكفار لا يأتون بقياس عقلي لباطلهم إلا جاء الله في كتابه بالحق، وجاءهم بالبيان والدليل وضرب المثل(1).

---

(1) انظر: مجموع الفتاوى 106/4.

أولاً: مكانة العقل في الشاهد القرآني:

إن الناظر في كتاب الله تعالى يجد وبكل وضوح أن الأدلة والبراهين العقلية مبثوتة في الشواهد القرآنية، وأن القرآن الكريم يقرر كثيراً من المسائل الاعتقادية بالحجج والبراهين العقلية سواء في تثبيت العقائد الصحيحة وتقريرها، أو في الرد على العقائد الباطلة وتفنيدها. وهذا يظهر مدى المكانة التي جعلها القرآن للعقل السليم الذي سلم من الشبهات والشهوات. قال ابن القيم – رحمه الله - : >إن السمع حجة الله على خلقه، وكذلك العقل، فهو سبحانه أقام عليهم حجته بما ركب فيهم من العقل وأنزل إليهم من السمع<(1). وتبرز مكانة العقل في الشاهد القرآني من عدة وجوه :

1-مدح القرآن الكريم وثناؤه على أصحاب العقول السليمة القابلة للتفكر والتأمل. كما قال تعالى: ژ □ □ □ □ □ □ ژ(2) ، وقال تعالى: ژ □ □ □ □ □ ژ (3)وقوله : ژ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ(4) .

فهذه الأدلة تنص صراحة على أن العقول الصحيحة السليمة هي التي يتوجه إليها الخطاب الشرعي. وهي التي تفهمه على مراد الله ورسوله □ . قال ابن تيمية – رحمه الله - : >العقل شرط في معرفة العلوم، وكمال وصلاح الأعمال، وبه يكمل العلم والعمل<(5).

2- توجه القرآن بالخطاب إلى أصحاب العقول للتدبر والتفكر في آيات الله تعالى الكونية والنفسية والشرعية كما قال تعالى: ژ ڈ ژ ژ ژ ڑ ک ک ک ک

---

(1) الصواعق المرسلة 1187/3.

(2) يوسف: 111.

(3) البقرة : 269.

(4) الزخرف: 3.

(5) مجموع الفتاوى 338/3.

ﮒ ﮓ ژ(1) ، وقال تعالى: ژ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ژ(2)، وقال: ژ ڭ ۀ ۀ ہ ہ ﮨ ﮩ ھ ژ(3)، وغيرها من الآيات التي بلغت خمسين آية تدعو إلى استعمال العقل للتفكر في آيات الله تعالى المبثوثة في الآفاق(4).

3-ذم القرآن الكريم في عدد من آياته من يهملون عقولهم، بل يلغونها استسلاماً للعادات والتقليد المذموم. قال الله تعالى: ژ ڭ ڭ ۀ ۀ ہ ہ ﮨ ﮩ ھ ھ ژ(5)، وقال تعالى في ذم الذين يلغون عقولهم، ولا يسمحون لها أن تتفكر وتتدبر استسلاماً لما يفعله الآباء والأجداد فقال تعالى: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ژ(6).

4-حرمت آيات القرآن الكريم كل ما يفسد العقول ويعطل إدراكها من المسكرات والمخدرات وما شابهها فقال تعالى : ژ ٱ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ژ(7).

---

(1) آل عمران: 190.

(2) يونس : 101.

(3) العنكبوت: 20.

(4) انظر : الإسلام كما ينبغي أن نؤمن به ، عبدالحليم عويس، ص 53.

(5) الأنفعال: 22.

(6) البقرة: 170.

(7) المائدة: 90.

ثانياً: شهادة العلماء على اشتمال الشواهد القرآنية على الحجج العقلية

لقد شهد علماء الأمة قديماً وحديثاً على أن القرآن الكريم قد اشتملت شواهده المختلفة على الدلائل والحجج والبراهين العقلية. وأن الشاهد القرآني سمعي وعقلي في آن واحد(1). قال الراغب الأصفهاني :> وقد اشتمل القرآن العظيم على جميع أنواع البراهين والأدلة، وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد ينبيء عن كليات المعلومات – العقلية والسمعية إلا وكتاب الله قد نطق به..< (2).، وقال القاضي عياض – رحمه الله – وهو يذكر وجوه إعجاز القرآن الكريم وشواهده: >فجمع فيه من بيان علم الشرائع، والتنبيه على طرق الحجاج العقليات، والرد على فرق الأمم، ببراهين قوية، وأدلة بينة، سهلة الألفاظ، موجزة المقاصد، رام المتحذلقون بعد أن ينصبوا أدلة مثلها، فلم يقدروا عليها<(3). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : >القرآن جاء بالأدلة العقلية على أكمل وجه، على أصول الدين من الإلهيات والنبوات والسمعيات وغيرها<(4)، وقال الإمام السيوطي –رحمه الله–: >قد اشتمل القرآن العظيم على جميع أنواع البراهين والأدلة، وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحرير يبنى من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله قد نطق به...< (5).

هذه وغيرها مما تركت شهادات لأئمة الأمة وعلمائها على أن الشواهد القرآنية قد اشتملت على الأدلة العقلية، والبراهين. ومن هذه الشهادات أقف على أمور هامة :

1–أن هذه الشهادات من العلماء هي التي تخدم الإسلام، وتبين قدره بين الأديان، وتؤكد على أنه حق نزل من رب البشر، وبيان ذلك. أن القول بأن مصادر هذا الدين وبخاصة المصدر الأول – القرآن الكريم– جاء بما يتوافق مع العقول السليمة عندما تسأل وتبحث عن الحقيقة وتم تأكيد ذلك بالوقوف على البراهين العقلية في شواهده. هذا القول هو الذي يؤكد على أن دين الإسلام جاء متواءماً مع طبيعة

---

(1) انظر الأدلة العقلية على أصول الاعتقاد . د. سعود العريفي، ص 65–69.

(2) مقدمة التفسير ص 75، ط: دار الدعوة، 1984م.

(3) الشفا 1/390–391.

(4) مجموع الفتاوى 3/296.

(5) الإتقان في علوم القرآن 2/135.

البشر الذين ركب الله فيهم العقول التي تتفكر وتتدبر وتحلل وتستخرج النتائج وهذا ما يوجب التسليم والاستسلام له.

2-هذه الشهادات تدعو المسلمين إلى الاستغناء بكتاب ربهم للوصول إلى الحق من أقرب طرقه التي أوضحها من يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير . ولو أن الأمة اشتغلت بما في الشواهد القرآنية من علوم وأحكام وأدلة ظاهرة وتركت الالتفات إلى غيره من العلوم التي تكلفها البشر للوصول إلى الحقيقة فيما يتصل بالله وبالكون والإنسان والحياة لكانت دائرة الافتراق الفكري ضيقة، ودائرة الاجتماع المعصوم بعصمة القرآن المقدس هي الواسعة.

3-أن الذين قرروا أن الشاهد القرآني السمعي ليس فيه دليل عقلي قد قصر في المعرفة بحقائق الأدلة السمعية والعقلية معاً. ولم يستغرق الجهد للتأكيد على أن الأدلة السمعية والعقلية متلازمة. وكل منهما مستلزم صحة الآخر. ولو أنهم بذلوا الجهد في البحث في شواهد القرآن لظهر لهم أن كل مسألة شرعية تحتاج إلى دليل عقلي فإن الشاهد القرآني قد بينها بالبرهان العقلي(1).

---

(1) انظر: درء تعارض العقل والنقل – ابن تيمية 24/8، والصواعق المرسلة لابن القيم، 908/3.

خصائص الحجة العقلية في الشاهد القرآن :

اختصت الحجج العقلية في الشاهد القرآني بعدة خصائص ميزتها عن غيرها من الحجج والبراهين العقلية.

1-الحجج العقلية في الشاهد القرآني قطعية تورث اليقين، وتقطع الشكوك والشبهات، وتلزم المعاند الجاحد(1). ويمكن أن نكتفي بمثال على ذلك في حجاج إبراهيم للنمرود في قوله تعالى: **ژ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گگ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ژ**(2).

فهذا الشاهد اشتمل على حجة قطعية وهي طلوع الشمس من مشرقها وهي تورث اليقين وتقطع الخصومة لأنها أحاطت بكل ما وجب في العقل.

2-ومن خصائص الحجج العقلية في الشاهد القرآني ما ذكره القاضي عياض في قوله: >بينة، سهلة الألفاظ، موجزة المقاصد..< (3). فهي من السهولة بدرجة تفهم منها العامة ما يورث القناعة لديهم، وتفتح للخاصة من العلماء ما يرومونه من الحكم والبراهين(4).

3-الإيجاز في العبارة بما يجمع المعاني الكثيرة في ألفاظ بليغة موجزة. فقوله تعالى مثلاً : **ژ ٱ ب ب ٻ ٻ پپ پ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿژ**(5) تضمنت هذه الحجة العقلية في هذا المثل إبطال الشرك وأسبابه بأصح برهان، وفي أوجز عبارة(6).

4-التنوع في ضرب الأمثال، وفي عرض المسالك العقلية على تقرير المسألة الواحدة من أجل قطع كل أنواع الإنكار أو الشك أو الظن والتردد(7).

---

(1) انظر بدائع الفوائد – ابن القيم 176/3.

(2) البقرة : 258.

(3) الشفا 536/1.

(4) انظر الصواعق المرسلة، 489/2.

(5) الحج: 73.

(6) انظر الصواعق المرسلة 273/2.

(7) انظر بتوسع : الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة الإسلامية، د. عبدالكريم عبيدات، ص 497-500.

ففي تقرير عقيدة البعث والنشور نجد الحجة العقلية في الشاهد القرآني تقرر هذه العقيدة بأساليب كثيرة، فمرة تستدل على البعث بخلق الإنسان أولاً كما في قوله تعالى: ژ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖژ(1) ومرة بضرب الأمثال من الصور المشاهدة عند البشر كقوله تعالى: ژ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶژ (2)وهكذا.

---

(1) يس: 78.

(2) الروم: 19.

أثر الحجة العقلية في الشاهد القرآني على تقرير مسائل الاعتقاد:

يجب أن نفرق هنا بين دور العقل في إدراك ما يتعلق بمسائل العقيدة، وبين تضمن الأدلة والشواهد القرآنية لوجوه عقلية وبراهين قياسية وغيرها تؤكد ما دل عليه ظاهر الشواهد السمعية القرآنية .

فمن ناحية دور العقل في إدراك مسائل الاعتقاد فقد قرر العلماء أن كل مسألة من مسائل العقيدة لا تتعارض مع مقررات العقل السليم، وليس في مسائل العقيدة ما تحيله العقول وتنفيه، ولكن قد يأتي في مسائل العقيدة من الأمور التفصيلية ما تعجز العقول عن إدراكه وذلك بحكم ضعف العقل البشري.

وقرر العلماء أن العقل البشري يمكن أن يستقل بمعرفة بعض قضايا العقيدة على وجه الإجمال دون التفاصيل التي استأثر الله تعالى بعلمها ومعرفة تفاصيلها.

فمثلاً مما يعلم بالعقل اتصاف الله تعالى بصفات الكمال، وتنزهه سبحانه عن النقائص فهذا مما يعلم بالعقل. لكن كيفيات صفات الكمال مما لا تدركه العقول ولا ينبغي لها الخوض فيه لأن الإنسان لم ير ربه حتى يستطيع تكييف صفاته(1).

ومثل ذلك أيضاً: التعمق في بحث أسرار القدر. وغيرها من الغيبيات التي استأثر الله سبحانه بعلم تفاصيلها.

وأما من ناحية اشتمال الشواهد القرآنية على البراهين والحجج العقلية فهذا كما سبق بيانه في شهادة العلماء مما لا يخالف فيه إلا مكابر يرى هذه الحجج ظاهرة في النصوص ولكنه ينكرها إما عناداً، وإما جهلاً بطريق الوقوف عليها .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله - : >والقرآن قد دل على الأدلة العقلية التي بها يعرف الصانع وتوحيده وصفاته، وصدق رسله، وبها يعرف إمكان المعاد، ففي القرآن من بيان أصول الدين التي تعلم مقدماتها بالعقل الصريح ما لا يوجد مثله في كلام أحد من الناس، بل عامة ما يأتي به الحذاق النظار من الأدلة العقلية يأتي القرآن بخلاصتها، وبما هو أحسن منها<(2).

---

(1) انظر : شرح الطحاوية 320/1، وموقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة، سليمان الغصن 274/1.

(2) مجموع الفتاوى 252/16.

ولعلي أعرض بعض الشواهد على ذلك .

1-قوله تعالى: ﮋ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﮊ(1) . يعني : هل وجدوا من غير موجد، أم هم أوجدوا أنفسهم؟ والجواب: لا هذا ولا هذا، بل الله تعالى هو الذي خلقهم وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً(2) .

فهذا دليل وشاهد قرآني فيه الحجة العقلية الموجزة البالغة القوة والوضوح والدلالة على الخالق سبحانه وتعالى.

2-قوله تعالى في تقرير نبوة الأنبياء من البشر : ﮋ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯼ ﯽ ﮊ(3) ، وقوله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﮊ(4) هذه الآيات رد الله تعالى بها على من ينكر دعوة الرسل بسبب بشريتهم كما قال تعالى: ﮋ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ(5) فحجهم القرآن بحجتين عقليتين.

الأولى : أن من أرسل إليهم الرسل بشراً وليسوا ملائكة وعلى هذا فلو كان الرسول ملكاً ما استطاعوا رؤيته . ويترتب على هذا استحالة الحكمة من إرساله لأنهم سيقولون : أين الرسول الذي أرسلته إلينا فنحن لا نراه.

والثانية: الآية حجهم بأنه لو أنزل رسولاً من الملائكة لجعله رجلاً حتى يمكنه مخاطبتهم وحينئذ سيعودون بإنكار نبوته وهي شبهتهم الأولى(6) .

فالآيتان قررتا نبوة البشر على مراد الله تعالى وقطعت حجج المعاندين.

وقد سلكت الدلائل العقلية في الشاهد القرآني لتقرير العقائد الإسلامية عدة مسالك وهي بإيجاز(1) :

---

(1) الطور: 35.

(2) انظر: تفسير ابن كثير 436/6.

(3) الإسراء : 95.

(4) الأنعام: 9.

(5) الإسراء : 94.

(6) انظر تفسير ابن كثير 124/2.

1-الأقيسة والأمثال . كما قال تعـــالى : ژ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٔ ۋ ۋ ژ(2) .

ويدخل في هذه الأقيسة : قياس العلة، وقياس الدلالة أو التمثيل، وقياس الأولى، وقياس الشبه، وقياس الخلف، والسبر والتقسيم.

2-أخذ الخصم بأقرب طرق الإفحام والإلزام .

3-القصص القرآني.

= =

(1) انظرها بتفصيلاتها في الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة الإسلامية ، عبدالكريم عبيدات ص 458-480.

(2) الزمر: 27.

الخاتمـــة

بعد أن سبرت كلام أهل العلم في إثبات الحجج العقلية في الشواهد القرآنية خرجت بما يلي:

1-أن الشواهد القرآنية هي شواهد ودلائل سمعية وعقلية وبهذا كانت أدلة شرعية.

2-بطلان قول القائل أن الشواهد القرآنية مجرد دلائل سمعية لا تثبت دلالتها إلا إذا أقر العقل بصدق المخبر ونبوته ثم يجعلون ما قرروه من عقليات في مقابل هذه الدلائل السمعية.

3-أن الشواهد القرآنية استغرقت غالب الطرق العقلية في التقرير وفي الرد والإبطال.

4-تميزت الحجج العقلية في الشاهد القرآني بخصائص ميزتها عن غيرها من الحجج العقلية البشرية.

ويوصي البحث بما يلي :

1- العودة بالأمة إلى المصدر الأول للتلقي وهو القرآن الكريم لتأخذ عنه عقائدها صافية نقية معتمدة في ذلك على ما صح من تفسير نصوصه في أحاديث النبي □ .

2- الاعتناء باستخراج الدلائل والبراهين والحجج العقلية من شواهد القرآن الكريم ومخاطبة غير المسلمين الذين يقدسون العقول بما فيها .

3- تعديل أساليب تدريس مقررات التفسير لدى أبناء الأمة بما يتناسب مع الثورة العقلية المعاصرة في حدود الجائز شرعًا في ذلك.